الأستاذة: د. أمينة أونيس
كلية الآداب واللّغات
قسم اللّغة والأدب العربي
السنة الدراسية: 2023/2022.
السداسي الأوّل

المادة: نقد النثر القديم (تطبيق)
الاختصاص: دراسات نقدية
السنة: الثالثة ليسانس.
الأفواج: 01 + 02.

نقد النثر قدامة بن جعفر

المنهج التحليلي

المنهج التحليلي يجمع بين الأسلوب العلمي، من حيث الاستعانة بالتقسيم والتفريع، والتقيّد بالتحقيق والتدقيق؛ وبين النقد البياني الذي يقترن بالتحليل والتعليل، وينتهي إلى التقييم والتقرير. وهو إلى ذلك، يردّ الظواهر الأدبية إلى عناصرها وأصولها، ويتوقّف عند مراحلها وأطوارها، ويستكشف طبائعها ومبادئها. كل ذلك بلغة جيّدة، وتعبير بليغ، وأداء أنيق. وقد اخترنا مثاله من كتاب نقد النثر.[1]

قدامة بن جعفر (888-948)

كان قدامة من مشايخ الكتابة، وأرباب العلم في عصره. كان أبوه جعفر من نصارى العراق. نشأ في البصرة، ثمّ تحوّل إلى بغداد، وفيها اعتنق الاسلام، والتحق بالبلاط العباسي كاتباً. أما ابنه قدامة فقد ولد في بغداد، أو انتقل إليها طفلا، وحصّل فيها العلوم الاسلامية، وبرع بصناعة الكتابة كأبيه، فعيّن كاتبا في احد الدواوين؛ ومازال يرتقي حتى تولّى رئاسة الكتّاب. وعندما اجتاح بنو بويه بغداد سنة 945، التحق بخدمتهم إلى أن توفي بعد ذلك بثلاث سنوات.

كان قدامة واسع العلم، متنوّع المعارف، استقى علومه من أربع ثقافات هي: الفارسية والعربية والهندية واليونانية. وجمع في ثقافته الخاصة بين اللغة والأدب، والفلسفة والمنطق، والفقه والكلام؛ ولم يقصّر في العلوم الطبيعية والرياضية، لكنه كان أوسع شهرة ببلاغة الفلم، وملكة النقد. وخير دليل على سعة علمه، وشمول معارفه، المؤلفات التي تركها في شتّى المواضيع؛ وهي بضعة عشر مؤلفاً. وفي ما يلي قطعة من كتابه "نقد النثر".[2]

الكلام المنثور

وليس يخلو المنثور من أن يكون خطابةً أو ترسلاً أو احتجاجاً أو حديثاً، ولكلّ واحدٍ من هذه الوجوه موضع يستعمل فيه:

فالخُطب تستعمل في إصلاح ذات البين، واطفاء ثائرة* الحرب، وحمالة الدماء*، والتسديد للملك، والتأكيد للعهد في عقد الأملاك، وفي الدعاء إلى الله عزوجل، وفي الاشادة بالمناقب، ولكلّ ما أُريدَ ذكره و نشره وشهرته في الناس.

1- كمال اليازجي، الأساليب الأدبية في النثر العربي القديم، من عصر علي بن أبي طالب إلى عصر ابن خلدون 600-1400، مع نصوص من روائع بلغاء الكتاب للدرس والتحليل، دار الجيل، لبنان، ط1، 1986، ص: 59.

2- المرجع نفسه، ص:59.

* ثائرة الحرب: العداوة الشديدة.

* حمالة الدماء: الدية والغرامة.

والترسل في أنواع من هذا، وفي الاحتجاج على المخالفين من أهل الأطراف* وذكر الفتوح، وفي المعاتبات والاعتذارات، وغير ذلك ممّا يجري في الرسائل و المكاتبات؛ والبلاغة في الجميع واحدةٌ، والعيُّ قريب.

إلاّ أنّ الخطابة، لمّا كانت مسموعة من قائلها، ومأخوذة من لفظ مؤلّفها، وكان الناس جميعا يرمقونه ويتصفحون وجهه، كان الخطأ فيها غير مأمون، والحصر* عند القيام بها مخوفاً محذوراً. فأما الرسائل، فالإنسان في فُسحة من تحكيكها* وتكرير النظر فيا، واصلاح خلل إن وقع شيء منها...

فلهذا صار الخطيبُ، إذا ساوى المترسّل في البلاغة، كان له الفضل عليه، كما كان الفضل للشاعر، إذا ساوى المتكلّم، في تجويد المعاني وبلاغة اللسان...

ومن أوصاف الخطابة أن تفتتح الخطبة بالتحميد والتمجيد، وتوشّح بالقرآن وبالسائر من الأمثال، فإنّ ذلك ممّا يزيّن الخطب عند مستمعيها، وتعظم به الفائدة فيها. ولذلك كانوا يسمّون كلّ خطبة لا يُذكر الله في أوّلها "بتراء"، وكل خطبة لا توشَّح بالقرآن والأمثال "شوهاء"... وأن يكون الخطيب أو المترسّل عارفاً بمواقع القول وأوقاته، فيقصّر عن بلوغ الإرادة، وألاّ يستعمل الإطالة في موضع الايجاز فيتجاوز مقدار الحاجة إلى الاضجار والملالة، وألاّ يستعمل ألفاظ الخاصة في مخاطبة العامة، ولا كلام الملوك مع السوقية، بل يعطي كلّ قوم من القول بمقدارهم، ويزنهم بوزنهم، فقد قيل: "لكل مقام مقال" **(نقد النثر)**.

---

* أهل الأطراف: من لا يثبتون على مبدأ.
* الحصر: احتباس اللسان.
* التحكيك: المراجعة والاختبار.